أمورٌ لا استطيع الكلام عنها

بقلم: نافل علي الحربي

ثلاثة أمور لا أستطيع الكلام عنها، وهي النسب، والأفضلية، والسياسة.

أما النسب، فأنا الأصيل عندي يختلف عن الأصيل عند عامة الناس، فأنا الأصيل عندي الصالح، ولا أتكلم عن هذه المواضيع حتى لو أردت أبيّن للناس رأي الخاص حول هذا الموضوع، لأن بعض الناس لا أعتقد انهم يتفقون معي بنفس الرأي، لأنهم أهل تقاليد وليس أهل علم، فمعرفة الشخص التي يكتسبها من التقاليد يصر عليها، رافضاً ما يغيرها، معتمداً على رأي عامة الناس، التي تداول الخصلة مثلاً، تداولاً عامياً وليس شرعياً، فالشرع لا يفرق بين الناس من حيث الأصل، بل من حيث الأعمال الصالحة أو الطالحة. .

أما الأفضلية كذلك الناس لا ينظرون إليها من الناحية الشرعية، والتي تبني الأمور على الخصال، فتعتبر الأمين أفضل من الحرامي، والشريف أفضل من الفاحش الفتاك، والعامة لا تراعي الخصال، تراعي العادات، فالمرائي يسمونه كريماً لا عيوب فيه، حتى وأن كانت خصاله الشرعية سيئة.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لا انتقد احداً انتقاداً جارحاً يسيء إلى نفسيته، حتى لو رأيت عليه مثل خطاء مثل من ناحية الشعر أو الكلام الخاطئ ضمن موضوعٍ ما، عبر الاعلام، إلا إذا حاولت التواصل معه عبر الرسائل الخاصة مثلاً، واتحاشى التصادم من بعض الأشخاص الذي يحاول الدفاع عن التقاليد، ويعتبر نفسه عنصراً فعالاً في الدفاع عنها، ولا يحسب أنني مثله حريصاً على التقاليد، ولكني لا أهمل الدين، بل أحاول أصلح ما يتنافى مع الدين منها عفوياً، عند بعض العامة، خاصةً الذين لا يهتمون بمعرفة الدين المتعلقة بالتقاليد، فكأنهم لا يعتبرون للدين دخل بالدين، وعند ما تفتح لأحدهم المجال للرد عليك تأخذه نزعة الحميّة الجاهليّة، فيوبّخك، ويعتبرك خارجاً على التقاليد متجرّداً منها، وهو من أهلها.

أما السياسة فهي أيضا يعود الكلام فيها من وجهة نظري للشرع، والخصال، وهذا الأمر لا يجد قبولاً عند بعض الأطراف أما جهلاً أو تجاهلاً أو اختلافاً في المعتقدات، فلا ينفع في هذا المجال إلا بالطرق الخاصة بالدبلوماسية الرسمية، التي تتولى عليها الدول بما هم مسؤولين مسؤولية مباشرة، القيام بها، ثم من يفوض إليهم الأعمال بتوجيهاتهم.

وعلى أي حال من الأحوال التي ذكرت، لا أفكر بالكلام عن هذه الأحوال لأن الحق أحق، أن يتبع فمثلاً نحنُ نشعر أن لنا لكل قريب لنا حقنا علينا، بحكم انه قريبٌ،

وعند ما يحصل معه خلافٌ من طرف آخر، أين نحنُ منه ومن حل قضيته، هل نحنُ معه أم مع الحق؟ هذا على المستوى الفردي وثمّة ما هو على مستوى أكبر كأن يكون على مستوى دولي، فنحن نرى دول بينها صراعات، ونزاعات، مما يدفعنا فضولنا أو حتى حماسنا وحميتنا للدفاع عن القريب، أو المسلم، نرى أن ديننا لم يوصِنا بأن ننظر بالبعد والقرب بالصلات عند الخلافات، بل أمرنا بمعرفة الذي على خطاء من الذي على حق، فنكون مع الحق، فهنا إذا رأينا صاحبنا مخطئ سكتنا، ولا نتجرأ على قول الحق، فيلحقنا عتابٌ ولومٌ من صاحبنا حتى وان كان مخطئاً، فهذه الأحوال يكتنفها بعض الغموض الذي سببه الصراع بين الحق وبين الباطل، الذي هو سنة الحياة، وحل مشكلة الصراع بين الحق والباطل، مشكلة مستحيلة.

هذه أنا ابتعد عن الخوض بالكلام، لأن الحلول فيها غامضة، وهي ابتلا واختبار من الخالق، ليمحّص عقول البشر فيها، وكلام الصدق فيها لا يجد قبولاً جهلاً أو تجاهلاً.

ولا تنسون إن المشاكل والحروب على أي مستوى، هي صراعٌ مستمر بين الحق وبين الباطل إلى يوم القيامة، والتغلب على هذا الصراع مستحيل، نسأل الله تعالى أن لا بتلينا ويرزقنا بالأمن والأمان وطاعة الرحمن، فإن سبب هذه الصراع، هو الجهل بالدين، والتهاون بمعرفته وتطبيقه، فلو كل إنسان عرف ما له وما عليه، وفقاً للدين، وطبّق أوامر دينه، انحل الصراع بين الحق وبين الباطل، لأن الكثير منا لا يعرفون ما هو الحق، ما هو الباطل، وما علاقته هو بهما.